الجزء الخامس عشر المجلد الاول

النفائس العصرية

﴿ مجلة فكاهية ادبية ﴾

لمنشئها

خليل بيدس

١٥ و٢ اذار سنة ١٩٠٩

الذاكرة

﴿ ٢ ﴾

ثم ان قوّة الذكر في الناس تختلف باختلاف المنظورات والمسموعات. فمن الناس من ذاكرتهم البصريَّة اقوى من السمعيَّة. ومنهم من ذاكرتهم في بعض الاشياء المنظورة او المسموعة اقوى منها في غيرها وهلم جرًّا. فلبعض الموسيقيّين ذاكرة سمعيّة ماضية بحيث اذا سمعوا مرةً واحدة فصولاً برمتها من روايةٍ ممثَّلةٍ او سمعوا لحناً عسراً حفظوه للحال وكرّروه بكل تدقيق. وبعض الناس الذين ذاكرتهم البصريَّة قوية اذا رأوا انساناً او مكاناً مرة

واحدة فقط ثم رأوه بعد ذلك بزمن طويل عرفوه للحال وكذلك حالهم في المناظر الطبيعيَّة كالجبال والاودية والسهول والهضاب. وذكر العلاَّمة ڤيغان ان مصوراً كان اذا رأى انساناً مرةً واحدة فقط استطاع ان يصوره بعد ذلك في اي حالة اراد كما لو كان هذا الانسان حاضراً

والتفاوت في قوة الذكر غريزيٌّ في الناس منذ ولادتهم وشاهد ذلك ان ذا الذاكرة الضعيفة لايتأتى لهُ اصلاحها اصلاحاً تاماً مهما اجهد نفسه. نعم ان هذه القوة يمكن ان تترقى بطريق التمرُّن والمزاولة ولكنها لاتصل الى درجة سامية كما هو مشاهد في مشاهير قوة الذاكرة. وقد تتقوى الذاكرة بالممارسة حتى تصل الى درجة عالية ولاسيما اذا تناولت موضوعاً خاصاً. وبناءً عليه نرى مثلاً ان الذاكرة السمعية قوية جداً عند الموسيقيين والذاكرة النظرية عند المصوّرين والذاكرة الرياضية عند الرياضيين وهلمَّ جرًّا. وكذلك نرى الذاكرة النظرية قوية جدًّا عند بعض اللاعبين بالشطرنج. حكي عن رجل روسي اسمه تشيغورين انه كان يلعب وهو معصب العينين على عدة رُقع في وقت واحد. وكان غيره — مورفي — يلعب وهو في هذه الحالة عَلَى ثماني رقع. وبليكبرن وروكفود كلٌّ عَلَى اثنتي عشرة رقعة. وتسوكرتورت على اربع عشرة رقعة. غير ان هذه القوة الغريبة التي تجهد الذاكرة الى اقصى قواها كثيراً ما

تنتهي بالاختلال والجنون كما جرى ذلك فعلاً لمورفي وتسو كرتورت وشيفرس الروسي

وفي سنة ١٨٩٢ كان سائحاً في اوربا شيخ برهمي بسن السبعين اسمه نارين سو كحاتما اشتهر بذاكرة عجيبة فكان في وقت واحد

١ — يلعب في الشطرنج مع احد اللاعبين

٢ — يلعب في الورق مع لاعب آخر

٣ — يعدّ حبوب القمح التي كان يرميه بها ثالث

٤ — يستخرج في عقله الجذر الكعبي لايّ كان من الاعداد المركبة من ثلاثة ارقام

٥ — يرقّي في عقله عدداً ذا رقمين الى القوة الرابعة

٦ — يضرب في عقله عدداً ذا ثلاثة عشر رقماً في عدد ذي اثني عشر رقماً مما يفرضه له السائلون

٧ — يحلّ في عقله ايضاً ما شئت من مقابلة الدرجة الاولى مع مقابلتين اخريين مجهولتين

٨ — يشرح ما شاء السائلون من ادوار اللغة السنسكريتيّة ويجري ايضاً غير ذلك مما تحار له العقول

واغرب من ذلك ما روته احدى المجلات الروسية عن رجل اسمه جاك اينودي احضره المسيو دار بو استاذ الرياضيات واوقفه بين اعضاء اكاذيمية العلوم في باريز وكان عمره آنئذٍ اربعة وعشرين

تماماً . فكان يجري في عقله اعمالاً رياضية كبيرة يعسر حلها كتابةً ويحل اصعب المسائل الجبرية في اقل من ثانية . من ذلك ان المسيو داربو كتب على لوح كبير هذين العددين:

٤،١٢٣،٥٤٧،٢٣٨،٤٤٥،٥٢٣،٨٣١

١،٢٤٨،١٢٦،١٣٨،٢٣٤،١٢٨،٩١٠

وقرأهما لجاك طالباً منه ان يطرح العدد الثاني من الاول فاجاب في الحال بالصواب دون ان ينظر الى اللوح فذهل الحاضرون وصفقوا لهُ استحساناً . ثم سئل : اي عدد اذا ضرب مكعبه في مربعه ساوى ٣٦٠٠٠ فاجاب على الفور ١٥ . وسئل ايضاً : اي عدد موءلف من اربعة ارقام مجتمعها ٢٥ ومجتمع رقمي مئاته والوفه مساوٍ لرقم عشراته . ومجتمع رقمي عشراته والوفه مساوٍ لرقم آحاده . واذا عُكست ارقامه ازدادت قيمته ٨٠٨٢ فاجاب ان العدد المطلوب هو ١٧٨٩ . ثم سألهُ برتران — احد الاعضاء — عن اسم اليوم الذي وقع في ١١ اذار من سنة ١٨٢٢ فقال الاثنين . ثم بعد بضع ثوانٍ قال : وقد مضى منذ ذلك اليوم حتى اول شباط سنة ١٨٩٢ كذا وكذا اياماً وساعات ودقائق وثوان وكان قوله صحيحاً . وسألوه ايضاً غير ذلك من المسائل العويصة فكان يجيبهم على كلٍ منها اجوبةً تقضي بالعجب العجاب

مأساة غرام

(رواية واقعية)

في الرابع والعشرين من شهر اوغسطس سنة ١٩٠٣ اقلعت باخرة المساجري من بيروت قاصدة الاسكندرية فمرسيليا. ولما أَقبل الليل ومضى الهزيع الاول منه اوى الركاب الى غرفهم ماعدا شاباً ظلَّ جالساً على كرسيه يتأمل تارة في البحر وطوراً في السماء. وكان الجوُّ صافياً والبحر رائقاً والباخرة تنساب عَلَى سطح الماء انسياب الافعى في الصحراء. وكان هذا الشاب من جملة الذين يقذفهم تيار المهاجرة الى الديار الاميركية واسمه الفرد وهو من اسرة شريفة تقطن مدينة بيروت وقد انهى علومه في احدى المدارس السورية واتقن فيها اللغات الانكليزية والفرنساوية والعربية وكان في زهرة العمر وريعان الشبيبة يناهز الخامسة والعشرين من سنيه جميل الطلعة لطيف المعشر حرَّ الطباع حلو الشمائل لين العريكة. ومرَّت عليه الساعات وهو على ظهر الباخرة يفتكر بوالده ووالدته واخويه اللذين لا يزالان في المدرسة وقد شقت عليه مغادرتهم فبارحهم وهو يعلل نفسه بمستقبل بهج كان يتبسم له من وراء الاوقيانوس

*

ما وطىء الفرد بونس ايرس عاصمة الارجنتين حتى ابتسمت

له الايام عن ثغر كالدرفاستخدم في احد المحال الاجنبية براتب ثلاثين ليرة شهرياً نظراً لما فطر عليه من الذكاء وتوقد الفهم ٠ وما لبث ان اتقن الاسبانيولية وبرع في هذه اللغة الى ان اصبح ينظم الاشعار فيها ويكتب المقالات المشهورة ٠ وقد اجتذب اليه بلطفه ولين طباعه قلوب الجميع من ابناء العرب والاجانب فما كنت ترى له عدواً او مبغضاً ٠ وبينا كان ذات يوم ماراً في حديقة عمومية استلفتت نظره فتاة اسبانيولية رائعة الجمال فتانة المحيا فاضطرب جسمه لهذا المشهد الباهر وكأنَّ تياراً كهربائياً لامس نفسه فوقف جامداً متأملاً ٠ وكانت الفتاة تختلس اليه نظرات خفية اخترقت فؤاده وقد فهمها وأدرك فحواها لان

قلوب العاشقين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرونا

فرفع قبعته اجلالاً لهذه الطلعة الملائكية وحياها برقة ولطف فردت له اجمل تحية وسلام وانصرفت وفي قلبيهما ما لا يعلمه غير الله الذي يسكب خمرة الحب من عيني المرأه في قلب الرجل ٠ فشيعها الفرد بنظره الى ان غابت عنهُ وفي فؤاده نار الغرام تستعر استعاراً وقضى سحابة نهاره غائصاً في بحور تأملاته وامام مخيلته تلك الفتاة التي فتنت لبه واسرت قلبه ٠ وفي اليوم الثاني عاد الفرد الى الحديقة وفيه من لواعج الشوق ارؤية فاتنته ما يعجز اليراع عن وصفهِ فجلس على مقعد هناك ينتظر بفارغ الصبر قدومها الى ان رآها مقبلة تختال

ببردة الجمال تيهاً ودلالاً فاخذ فوءاده يخفق خفوقاً شديداً غير انهُ تجلد وملك عواطفه فمرّت من امامه وحيّته بابتسامة شفّت عما يخالج نفسها من الوجد والهيام . فرد لها التحية وسألها ان تجالسه قليلاً ففعلت وجلست الى جانبه وهما صامتان كأن ملاك المحبة مخيم بجناحيه فوق رأسيهما . ثم اخرجت الفتاة بطاقة وناولته اياها وفعل هو كذلك فتعارفا وتبادلا النظرات دون ان ينبس احدهما ببنت شفة واخيراً قطع الفرد هذا السكوت قائلاً — ايتها الآنسة املي لا استطيع ان اوضح لكِ ما استحوذ علي من السرور بتعرفي بك . ان غيوم الهموم كانت متراكمة عليَّ فانقشعت بشعاع واحد من شمس طلعتكِ فالف شكر لك وللتقادير التي جمعتني بك و بالسعادتي لو تتفضلين فتشاطريني ايام ربيعي الجميلة فنقضيها معاً عَلَى مهاد الحب النقي . ولما سمعت املي هذا الكلام صبغ الحياء وجهها فازدادت جمالاً وهيبةً ورنت اليه بطرفها ولسان حالها يقول — ان هذا جل الاماني عندي . اما الفرد فقال — ما بالكِ صامتة ايتها الحسناء ؟ تكلمي ولا تعذبيني . فتبسمت وقالت — ضع يدك عَلَى جناني وانظر شدة خفقانه فيغنيك ذلك عن حديث لساني . فاخذ الفرد يدها وقبلها بحرارة وقال — اني انتظرك في منزلي الساعة الثامنة مساءً حيث يمكننا ان نطيل الحديث في كل امرٍ يهمنا اذ لا يمكنني الان ان اطيل المكث هنا لاني مستخدم ووظيفتي تدعوني

ولكن اعلمي الان اني رجل غريب الديار ووحيد في هذه البلاد فانت ستكونين سلوتي الوحيدة في غربتي · فاخذت املي يده فضغطتها بشدة وقالت — الى اللقاء اذاً يا الفرد الى اللقاء · ثم فصلت عنه وانصرف كلٌّ لشأنه

*

في مساء ذلك النهار كان الفرد جالساً الى نافذة غرفته · وكانت الغرفة بسيطة الاثاث تحتوي على سرير ومغسلة وثلاثة كراسي وبعض صور على الجدار · فاشمل لفافةً واقام ينتظر الآنسة املي وهو عَلَى احر من الجمر حتى اذا رآها مقبلة هبَّ من مكانه فاحتفى بها غاية الحفاوة وجلسا الى بعضهما يتطارحان احاديث الغرام الطيبة ولم يلبثا ان اتفقا عَلَى ان يقيما في منزل واحد ويعيشا معاً عيشةً شبيهة بالزوجية (وامثال هذا الزواج كثيرة في بلاد الغرب)

بقيت الفتاة في منزله سنتين ونصفاً وهو يهرق عَلَى اقدامها دم قلبه وعرق جبينه ويضع بين كفيها غلة اجتهاده واثمار اتعابه وهي لا تفتر عن موءانسته وولائه · الاّ ان الايام لا تصفو لاحد · ففي ذات يوم ورد لالفرد كتاب من بيروت ينعى اليه وفاة والدته فكبر عليه الخطب وعظمت في عينيه الرزيئة الاّ انه كتم الامر عن ساكنة فوءاده وجاء الى منزله وعلائم الكآبة بادية عَلى محياه رغماً عما كان يتظاهر به من الموءانسة والمجاملة · فلحظت املي ذلك

منه وحملت كدره محمل سوء الظن فهاجت عواطفها ولكنها تحاملت عَلَى نفسها وأظهرت عدم المبالاة. وما مضى شهر آخر حتى وافاه كتاب ثانٍ بوفاة احد اخويه فاسودت الدنيا في عينيه و بعث فوراً بكتاب الى والده يطلب فيه حضور اخيه الباقي عنده فجاءه النبأ المشؤوم بان اخاه هذا قد انتقل ايضاً الى رحمة الله فكاد يفقد عقله من فرط هذه المصائب المتوالية واملي ترى منه انقباضاً فتظنه جفاء وقد نسبت كدره الى خيانة غير انها كظمت ما ثار في نفسها من الغيظ والانفعالات النفسانية الى ان تنجلي لها الحقيقة . اما هو فكانت املي تعزيته الوحيدة وتسليته الفريدة . ولما كان بعد ايام اتاه حامل البريد برسالة من نسيبة له في الداخلية تدعوه ان يقضي عندها شهراً لترويح النفس وتسرية ما المَّ به من الهموم لانها كانت قد علمت بما احاق به من النكبات . فوضع الرسالة في جيبه دون ان يعبأ بها . واتفق ان املي عثرت عَلَى تلك الرسالة وما كادت تتلوها حتى ارتجفت اعضاؤها وانتفضت من الغضب فأعادت الرسالة الى مكانها وقد بلغ منها اليأس مبلغه فجلست الى جانب النافذة واخذت تفكر في ما عساها ان تصنع . ولما دخل الفرد رآها غارقة في بحور تأملاتها ولم تلتفت اليه ولم تبش في وجهه عَلَى جاري عادتها فاستغرب ذلك منها وهرع اليها ليضمها الى صدره فتملصت من بين يديه بمقت واشمئزاز وقالت له بلهجة لم يكن يسمعها منها قط — ابتعد عني

يا الفرد فلم يعد لك بي حظ ولا نصيب . اذهب الى من يهواها قلبك وضمها الى صدرك ولكن ويلٌ للتي ستضمُّ منك قداً مضموماً وتلثم خداً املثوماً . . اسفي عَلَى ثلاث سنوات قضيتها في محبتك . . اسفي عَلَى ستة وثلاثين شهراً ضحيتها عَلَى مذبح حب كاذب . اغتبط يا الفرد لاني الليلة سابرح منزلك ولست بمقيمة فيه وفي نفسي بقية من الارادة

كان كلام املي يقع عَلَى الفرد كالصاعقة فوقف جامداً دهشاً لانه لم يدرك لهذا الكلام فحوى فقال لها — انك تقتليني بمثل هذا الحديث يا املي . فقالت — حسبك يا الفرد تمويهاً فقد خدعتني واحتلت على عواطفي حتى ملكتها واتخذتني آلة لتروي غليل شهواتك فبعتك عرضاً ثميناً بارخص ثمن . ليست الفاقة الى القوت دفعتني الى ان اقطن معك ولكن هناك شيئاً أسمى من المادة لا تدركه انت يا ابن المادة . ساترك الليلة هذا المنزل واذهب افتش عَلَى قوتي في سوق المومسات . فذلك افضل لي من القيام عند رجل يكذب علي ويخدعني كل يوم . ان قلبك الذي حاولت امتلاكه باثمن ما عندي قد أُعطي مجاناً لشخص آخر . فارتعش الفرد لهذه الكلمات الجارحة وقال بصوت تخنقه الغصة الاليمة — اقسم لك ياسيدتي اني لا ازال مقيماً عَلَى الوداد . رحماك يا املي واذا ابتعدت عني اقتل نفسي لا محالة . فرفقاً بقلب وقفته عَلَى محبتك .

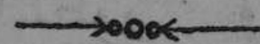
قالت — دع عنك هذه التمويهات الفارغة يا الفرد. ان السماء لم تولد فيك عاطفة المحبة السامية. فما انت الا رجل مادي ومع هذا لم تقم بحاجاتي المادية لاني اطلب بسطةً في العيش تعجز انت عن القيام بها قال — اني انفق كل دخلي في سبيل سعادتنا ورفاهيتنا وياحبذا لو كنت اقدر على اكثر من ذلك. قالت — فانا اذن اذهب لالتمس عيشة اكثر رفاهية ودلالاً ولم يعد في استطاعتي الاقامة هنا وان ترى بعد الان وجهي فلا تتعب نفسك عبثاً. قالت هذا ونهضت تاركة الفرد بين الحيرة والالم لا يدري لهذا الانقلاب الغريب من سبب ولم يعد يجد للحياة معنى بعد فقد والدته واخويه وهجران حبيبته وفضل الفناء على مثل هذا البقاء المحفوف بالمكاره والغصص فبات ليلته يتقلب على فراش حمى محرقة ولم يكحل له فيها جفن. ولما بزغ الفجر نهض من فراشه وجلس يفكر في امره فرأى ان الانتحار خير الامور للتملص من ايدي التقادير التي تلاعبت به كما يلعب الطفل بالكرة. ثم ثابت اليه الرغبة في البقاء فعمد الى استعمال ما عنده من الوسائل لاستعطاف املي. فقام من حينه واخذ يبحث عنها الى ان عرف انها في احد منازل المومسات فشقَّ عليه ذلك جداً الا انه لم يقنط فبعث اليها ببطاقة قال فيها: « مالكة الفؤاد ومعذبته املي. انك تطلبين مني عيشة باذخة فعملاً بما ترغبين استأجرت منزلاً جميلاً في الشارع الفلاني نمره كذا فوافيني اليه ». ولما لم

تجاوبه قطع الامل وعمد الى التخلص من حياته المرة المشوبة بكل نوع من الهموم والاحزان فنهض قاصداً المطعم ليتناول قليلاً من القوت وكانت امائر الكآبة بادية علَى محياه فاستغرب اصحابه منه ذلك بالنظر الى ما كان مفطوراً عليه من البشاشة فدنا منه صديق له اسمه جورج وقال — ما لي اراك يا الفرد حزيناً ؟ لا تجزع فقد اشتريت ما يلزم للمجلة التي نوينا انشاءها معاً وغداً نبدأ بطبع العدد الاول منها . فاجاب الفرد متأثراً — وانا غداً سامثل لك فصلاً جميلاً تزين به اول صفحات مجلتك . قال هذا ونهض مودعاً . اما جورج فلم يدرك فحوى كلام الفرد . فنهض من ساعته فوجده قد دخل حانوت احد اصدقائه وجلس الى طاولة يكتب بالاسبانولية ولم يكن جورج ممن يفهمون هذه اللغة فسأله — ماذا تكتب ياالفرد ؟ هل تنظم اشعاراً للمجلة ؟ فاجابه متنهداً واي اشعار ياجورج ؟ ... ثم طوى الورقة التي كان يكتبها ووضعها في جيبه وذهب تواً الى منزل المومسات حيث كانت املي فاستأذن من رئيسة المنزل مواجهتها ولما اذنت له دخل الى مخدع املي فالفاها جالسة في سريرها فاخذ يستعطفها تارة ويتهددها اخرى وهي كصخر اصم لاتكترث بوعد ولا وعيد فكان كمن يصرخ في واد او ينفخ في رماد . وبعد مضي ساعتين سُمع دوي ثلاث طلقات نارية خرجت من مخدع املي . فهرعت رئيسة المنزل واقبل الجيران واسرع رجال الشحنة علَى صوت

الرصاص · ولما فتحوا باب المخدع بدا له مشهد هلعت لهُ قلوبهم : تلك الفتاة الجميلة مطروحة على سريرها والدم يتدفق من نحرها وصدرها وفيها بقية من الحياة · وامامها الفرد ملقىً على ارض الغرفة عديم الحركة والدم يسيل من صدغه · فالظاهر انه لما يئس من استعطافها افرغ عليها عيارين من مسدسه جاءَ الاول في نحرها والثاني في صدرها ثم اطلق عياراً ثالثاً في صدغه كان القاضي عليه · وبعد البحث والتفتيش وجد رجال الشحنة في جيب الفرد ورقة فيها ما ياتي « انا اعلم ان الانتحار جبانة لكن الحياة المكفهر جوها بضباب المصائب والهموم عسرة الاحتمال · ولذا فانا قد قتلت نفسي بيدي فلا يُسأَل سواي بهذه الجريمة · ولي وصية واحدة وهي لي عند الخواجا رشيد الطويل ثلاثمئة ريال وفي محل الخواجات الونزو وشركائه حيث كنت مستخدماً اربعمئة ريال وهذه القيمة تُستوفى وتكون مخصصة لتشييع جثتي وجثة السيدة املي »

وهكذا راح هذا الشاب ضحية حبه لمثل هذه المومسة

مثري حلاج



الطباعة

(تابع لماقبل)

وفي سنة ١٤٥٠ اشترك غوتنبرغ مع احد اغنياء مينز وهو حنا

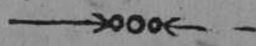
فوست الذي أمدّه بادىء بدء على سبيل القرض بمبلغ ثمانمئة غولدن (والغولدن ضرب من النقود يساوي ١٤ غرشاً تقريباً) مشترطاً على نفسه ان يقدم له لاجل نفقات الطباعة واجرة منزل للعمل ٣٠٠ غولدن كل سنة. وبعد مدة استدان غوتنبرغ من فوست مبلغاً آخر ولكنه بمقابل ذلك رهن عنده جميع ادوات الطباعة وصار يؤدي له فوق ذلك نصف ايرادات المطبعة

وهكذا في اواخر سنة ١٤٥٠ تولى غوتنبرغ اعمال الطباعة واندفع الى العمل بمنتهى الهمة والنشاط وطفق بعض الاغنياء يطبعون عنده بعض اللوازم والشذرات. وكان غوتنبرغ مهتماً على الخصوص بطبع التوراة خدمةً لكل مسيحي تقي. وبما ان العمل كان جديداً وغوتنبرغ وحده كان يسكب الحروف ويهيىء المداد ويعلم المنضدين ويصلح المسودّات فطبعُ التوراة الاولى استمر خمس سنوات كاملة. وكان طبعها باللغة اللاتينية وتُعرف تلك الطبعة الان بطبعة الاثنين والاربعين سطراً لان صفحاتها كانت موءلفة من هذا العدد من السطور. وكان ظهور هذه التوراة في ٢٤ آب سنة ١٤٥٥ ولم يبقَ منها الان سوى ست عشرة نسخة وهي تُصان في بعض مكاتب اوربا كاعظم التحف واجل الطرف

وفي غضون طبع التوراة الاولى اشترك مع غوتنبرغ وفوست رفيق ثالث اسمه بطرس شوفر. وكان هذا مصوّراً حاذقاً فافاد

الشركة فوائد جمة . من ذلك انه حسَّن الحروف ووضع امهات لسكبها وصبها وأبدى في كل اشغاله في المطبعة مهارةً وحذقاً عجيبين حتى انشرح بذلك صدر فوست فأحبهُ وزوَّجهُ ابنتهُ

غير انهُ ما كان يصدر من هذه المطبعة الكتاب الاول حتى اختلت شؤون الصداقة والشركة فيما بين غوتنبرغ وفوست . لان فوست لم يُقدم في اول الامر عَلَى مشاركة غوتنبرغ الا طمعاً بالربح الجزيل فلما رأى انه قد انفق في هذا السبيل اموالاً طائلة دون ان يحصل عَلَى ما علل به نفسه من الارباح اتهم بذلك غوتنبرغ وشكاه الى المحكمة بدعوى انه استدان منه مبلغ ٢٠١٦ غولدنا ولم يفِ منه شيئاً فحكمت المحكمة لفوست . ولما لم يكن غوتنبرغ قادراً عَلَى ايفاء ذلك اضطرَّ ان يتخلى لفوست عن المطبعة وجميع موادّها . وعَلَى هذه الصورة انفصل غوتنبرغ عن الشركة واستقل فوست وشوفر بالمطبعة حتى ان الاول منهما عزم عَلَى ان ينسب لنفسه شرف اختراع الطباعة لولم يعترضه الآخر ويحوّله عن عزمه (ستأتي البقية)



اسطورة هندية

ازرع جميلاً ولو في غير موضعه فلا يضيع جميلٌ اينما زرعا

يروي الهنود هذه القصة الحكمية لاولادهم : كانت هند

ودعد شقيقتين تعيشان مع والدتهما. وقد ازدانت دعد الصغرى بمحاسن الاخلاق وامتازت الكبرى بالبلادة ورداءة الطباع. وفي احد الايام قالت لهما والدتهما — لتذهب احداكما الى جدها لتستطلع طلع احواله فقد انقطعت عنا اخباره منذ شهر و بما ان الوقت وقت حصاد فلعله يحتاج الى مساعدة. فقالت هند — لتذهب دعد لاني لا اريد ان ازعج نفسي وامشي عشرين ميلاً في هذا الحرّ لمسرة غيري. فذهبت دعد عملاً باشارة والدتها. وفيما هي سائرة مرَّت باجاصة فسمعتها تقول لها — ارجوكِ ان تقوّمي اغصاني التي لوتها الريح. فلبّت سؤلها حالاً. ثم رأت ناراً عَلَى حافة الطريق فنادتها قائلة — هلمي يادعد الجميلة وانزعي عني الرماد فاني اكاد انطفئ لانحباس الهوآء. فاجابتها الى ذلك والقت فوقها بعض الاغصان اليابسة فامتد لسان لهيبها بالشكر لهذه الفتاة. ولم تبعد دعد قليلاً حتى صادفت تينة فالتمست منها أن تربط غصنها المكسور لئلا يفقد الحياة فربطته دعد بقطعة مزقتها من ثوبها وبعد هنيهة كانت أمام ساقية تتكسر مياهها عَلَى حصبآء كالدر بين الاشجار الغضة فقالت لها هل لك ان تزيلي من طريقي هذه الاوراق المتساقطة والرمل المتراكم؟ فحسرت حالاً عن يديها السمراوين وفتحت مجرىً للمياه. وكانت الشمس قد مالت للغروب حينما وصلت الى بيت جدها فسرَّ برؤيتها جداً لِما يعهده فيها من

اللطف ومحبة العمل . وقامت دعد بخدمته وترتيب منزله احسن قيام كل زمن الحصاد ولما انتهى قالت له — يجب ان اعود الآن لاساعد والدتي . فتأثر لفراقها جداً . وقبل ان تخرج باركها واعطاها مغزلاً وجاموساً وفراشاً وكل ماتحتاجه لو كان لها بيت خاص فودعته وحملت الجاموس هذه الادوات وقادته الى البيت . ولما انتهت في طريقها الى الساقية قدمت لها هذه ثياباً جميلة حملتها لها من المدينة فشكرت الساقية واضافت الثياب الى ما معها . ولما وصلت الى التينة وجدت على الغصن الذي ربطته عقداً من اللوءلوء فقالت لها الشجرة — خذيه فقد حفظته كل هذه المدة لك لانك رفقت بي فأخذته بشكر وطوقت به جيدها وسارت . ثم مرت بالنار وكان الهواء يتلاعب بلهيبها وفوقها مقلاة فيها كعكة جميلة مخبوزة فقدمتها النار للفتاة جزاء احسانها اليها . فقسمت دعد الكعكة ثلاثة اقسام واكلت قسماً وابقت الآخرين لوالدتها ولاختها . ولما بلغت الاجاصة قالت لها — دونك اثماري فهي لك في مقابلة لطفك واحسانك اليَّ . فقطعت دعد شيئاً من هذه الاثمار واكلت بعضها وحملت الباقي الى البيت . فرحبت بها والدتها واما شقيقتها فقابلتها بالصراخ بقولها — هل من العدل ان تدعيني وحدي اقاسي مشقة العمل بينما انت تجلبين كل هذه الاشياء الجميلة ? فأخبرتها دعد بما حدث وقالت — اذهبي انت ايضاً فأقوم

انا بخدمة المنزل وحدي ومن يعلم اذا كان نصيبك يكون افضل من نصيبي

فنهضت هند في صباح اليوم التالي باكراً وتوجهت لرؤية جدها ولم تكن تفكر الا بما ستناله منه . وحينما وصلت الى الاجاصة قالت لها — اتريدين ان تقومي اغصاني المعوّجة ؟ فاجابتها — لا فانه يمكنني ان اقطع ثلاثة اميال في الوقت الذي اصرفه على تقويم اغصانك . واذ مرّت بجانب النار طلبت منها ان تنزع عنها الرماد فقالت — لا يهمني هذا الامر . واذ وصلت الى التينة وسالتها ان تربط غصنها المكسور اجابت — ان غصنك يعيقني فاسألي غيري . ولم تسر قليلاً حتى انتهت الى الساقية فطلبت منها ان تنظف مجراها من الاقذار فقالت — وهل تزعمين اني جئت لمساعدتك ؟ لا يا عزيزتي . وعندما وصلت الى بيت جدها وفتحت البوابة قالت في نفسها ان ادعه يرتاح حتى يعطيني جاموسين وما يستطيعان حمله من الاشياء الجميلة . وكان قد وصل في ذلك الوقت خالها وزوجته فقابلاها بالعصي والحجارة وهما يقولان — عودي من حيث اتيت لاننا نعلم غاية مجيئك وقد اتت بالامس اختك فاعطاها ابونا جاموساً واثاثاً نفيساً وهوذا انت اتيت لتاخذي نصيبك ولكن خاب فالك . ولم يدعاها تستريح من وعثاء الطريق وعناء الجوع فعادت بخفي حنين معللة نفسها بالثياب ولكنها لما وصلت الى

الساقية رأت الثياب طافية عَلَى وجه الماء وكان الماء غامراً بحيث انها كادت تغرق وهي تحاول ان تاخذ الثياب فخرجت من الساقية بصفقة المغبون واذا انتهت الى التينة ورأت عقد اللوءلوء سُرّي عنها ولكنه كان عالياً جداً فقفزت وجذبت الغصن الذي في اعلاه العقد فلطمها عَلَى راسها وسقطت مغشياً عليها · ولما افاقت رات ان احد المارة فاز دونها بالعقد وراح ينهب الارض وكانت قد احست بألم في راسها وضوى في احشائها فاسرعت لتاخذ الكعكة عن النار وكانت النار مضطرمة فمدت يدها نحو الكعكة فاحترقت وبينما هي تنفخ عليها تخفيفاً للالم انقض غراب على الكعكة وطار بها فصاحت هند متألمة — اواه ان كل شيء في الطبيعة يعاكسني · ثم ركضت باسرع ما يمكنها ولم تصل الى الاجامة الا بعدان فرغ صبرها وخارت قواها فتسلقت الشجرة لتقطف من الثمر الشهي ولكن كان دون مرامها خرط القتاد فتخدشت يداها ووجهها ورجلاها بالشوك ولم تفز بثمرة واحدة · فسقطت عَلَى الارض مضنوكة جائعة كئيبة ثم نهضت وسارت بحزن الى البيت

فرحبت بها شقيقتها اللطيفة وقادتها الى الفراش وقدمت لها حساء وشاياً وغسلت لها وجهها ويديها وقالت — اني حزينة يا اختي لما اصابك ولكن لا تتكدري فكل ما لي اهبه لك عن طيبة خاطر من الجاموس الى الثياب والاثاث والعقد الجميل · فاجابتها هند —

لا ارغب شيئاً مما يخصك ولكني ساجرّب ان احسن اخلاقي واكون لطيفة وديعة مثلك وحينئذ لا تنتابني مثل هذه المصائب والآلام

دمشق عبدالله

فتاة الغرام

أخبروهــا بانني لا ابالي — في هواها بغنجها والدلال
نظرت حسنها البديع فقالت — هل لحسني بين الورى من مثال
فتثنَّت كالغصن تيهاً وكبراً — وانثنت بالثنا عَلَى ذا الجمال
وابتغت للنزال كل كميٍّ — ليس يخشى في الحرب رشق النبال
فرنت نحوهُ بطرفٍ خفيٍّ — وابتســام فذاق شرَّ الوبال

...

يا فتاةَ الغرام بالله قولي — ما مقامي في الحبّ بين الرجال
اخبريني ولا تخافي ملاماً — واصدقيني المقال في كل حال
فجناني من شدّةِ الوجد بالٍ — ولساني من الفصاحةِ خال

...

وقفت برهةً عن الجواب وقالت — ياحبيب الفؤاد هاك مقال
انت فردٌ في الحب بين البرايا — وانا فرد في النهى والكمال
غير ان الحسان في زمن الاوغا — دِ غير الحسان بعد الزوال
كان ذاك الزمان عصر فساد — وخداع وحطةٍ واحتيا

ساد فيهِ المنافقون وما ابقوا — عَلى ذي مكارم وجلال
ذاق فيه الاحرار كلَّ عذابٍ — ووبالٍ وذلة واغتيال
واذا الحاكمون ضلوا وتاهوا — في قفارٍ من العمى والضلال
واستبدّوا بالامر كيف ارادوا — وتناءوا عن كل سامي الخصال
ليس بدعاً بان تضل العذارى — والرعايا في القول والافعال
فاتقوا الله يارجال وكونوا — لعذارى الدستور نور كمال
واذا شمتم فتاةً تجلت — ببهاءٍ ولا بهاء الهلال
وعليها من العفاف سياجٌ — وعلا رأسها سناء الجلال
فارمقوها بنظرةٍ وحنان — واحرسوها من اعين الانذال

بولس شحاده

﴿ الوجه الاصطناعي ﴾

قدَّم احد الاطباء الافرنسيين المسمى ديلير من مدة قصيرة الى اعضاء اكاديمية الطب رجلاً ذقنه وفكاه وشفتاه وانفه وسقف حلقه وبعض لسانه اصطناعية . وكان هذا الرجل قد فقد هذه الاعضاء جميعها بطلقة من غدارة فاستبدلها باعضاء اصطناعية محكمة الوضع وكان وجهه هذا الاصطناعي عبارة عن اربعة اقسام : الاول مسبوك من القصدير وهو بمثابة الاسنان السفلية المركبة في اللثة . والقسم الثاني مصنوع من المطاط (الكاوتشوك) القاسي والذهب وهو عبارة عن الفك والاسنان العلوية . والقسم الثالث بمثابة الذقن والشفة

السفلى وهو مصنوع من الكاوتشوك الملون بلون الجلد الانساني وفي الذقن شعر اصطناعي وفي تجويف الفك العلوي عوض الاضراس براغي كثيرة تشد الفك العلوي وسقف الحلق والشفة العليا بعضها الى بعض · والقسم الرابع بمثابة الانف والشفة العليا فالانف مصنوع من سيلولويد ومدهون بلون الجلد والشفة مصنوعة من الكاوتشوك وعليها شارب اصطناعيان · وهذا الرجل يمضغ الطعام بكل سهولة ووجهه لا يفرق بشيء عن الوجه الطبيعي اذا لم يُدقَّق فيه النظر · وهو يفكه كل يوم صباحاً فيغسل جميع تلك الاعضاء بالماء والصابون ثم يعود فيشدها الى بعضها

يقرأ الشرقي هذه الاسطر وهو في غاية من الحيرة والدهشة ولكنه اذا اطلع علَى ما وصلت اليه الصناعة في بلاد الغرب يزول عنه كل استغراب · ففي اوربا الان معامل خصوصية يصنعون فيها العيون والآذان والانوف علَى غاية من الاتقان وفي لندن يتقنون عمل الانوف الى درجة لا تفرق بشيء عن الانوف الطبيعية · ومنشأُ اصطناع الانوف انه حدث مرة ان رجلاً فقد انفه فجعل يعمل انفاً اصطناعياً وما زال ارباب الصناعة يتفننون في اتقانه الى ان بلغ اخيراً درجة الكمال · وهم الان يعملون الانوف من الالومنيوم لا من الشمع ولزيادة التمويه يجعلون لها اشباه شرايين فترى كأَنها طبيعية

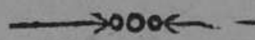
(عن الروسية) عبد الكريم سمعان

﴿ فطنة الكلاب ﴾

كان لاحد عظماء الالمان كلب ثمين ذو قوة وهيبة وذكاء غريب . فاتفق ذات يوم ان صديقاً حميماً طلب الكلب لبعض شؤونه ووعد صاحبه بانه يرجعه بعد بضعة ايام واقسم انه لا يدع اذية تصيبه فسمح له صاحبه به لانه لم يكن ليردّ لصديقه طلباً . ولم تمضِ مدة قليلة حتى وثب الكلب وثبة هائلة فكسرت رجله فحزن ذلك الصديق حزناً عظيماً ولكنه ما عتم ان اخذه الى طبيب ماهر وساله ان يعالجه بكل ما أُوتيه من المهارة وبعد بضعة ايام شفي الكلب وعاد الى صاحبه

واتفق بعد ذلك ان هذا الطبيب بينما كان جالساً في ذات يوم في غرفته سمع قرعاً خفيفاً على الباب فقام وفتحه للحال واذا به يرى الكلب الذي شُفيَ قد جاء اليه يقود كلباً آخر مكسور الرجل ولما ابصر الطبيب اخذ يبصبص بذنبه ويلحس رِجل رفيقه كانه يسال الطبيب معالجة رفيقه . فاستغرب الطبيب ذكاء هذا الكلب وقبل (اكراماً لخاطره) ان يعالج رِجل الكلب المسكين وما زال به حتى شفي تماماً

بديع هاشم



﴿ وجه الحبيب ﴾

رأيت الهلالَ ووجه الحبيبِ　　　فكانا هلالين عند النظرْ

فلم أدرِ من حيرتي فيهما هلالَ أندجى من هلال البشر
فلولا التوردُ في الوجنتين وما راعني من سواد الشعر
لكنت اظنُّ الهلالَ الحبيب وكنت اظن الحبيب القمر

(لبعضهم)

آثار ادبية

العرفان — مجلة علمية ادبية اخلاقية اجتماعية يصدرها من صيدا حضرة احمد افندي عارف الزين وقد وصلنا الجزء الاول منها فالفيناه حافلاً بالمقالات الضافية في الاغراض المذكورة فنشكر حضرة صاحبها الفاضل على ماوقف لهُ نفسه من هذه الخدمة الشريفة ونرجو لمجلته مزيد الاقبال والانتشار · والمجلة المذكورة تصدر مرة في الشهر في ٤٨ صفحة وقيمة اشتراكها ريال مجيدي في صيدا وربع ليرة افرنسية في الخارج

ابابيل — عنوان جريدة سياسية فكاهية لصاحبها ومحررها حضرة حسين افندي محيي الدين حبَّال وافانا العدد الثالث منها فاذا هو طافح بالمقالات والفكاهات المختلفة: وهي تصدر في بيروت مرة في الاسبوع وقيمة اشتراكها ٢٥ قرشاً في بيروت ولبنان وفي الولايات العثمانية ٣٠ وفي سائر الجهات ٧ فرنكات · فنرحب بها ونتمنى لها الرواج في خدمة الوطن

تنبيه ☆ حصل خطأ بوضع الصفحة ٣٨٧ قبل ال ٣٨٦ فاقتضي التنبيه

شقاء الملوك

وبعد قليل التفت الى الطبيب وقال له — قد كنتَ ايها الاستاذ في ليلة امس تخشى علىَ حياتنا من الخطر وقد صرنا نحن الان نخشى على حياتك لانك تتداخل في مثل هذه الامور التي لا تعنيك . فاذهب الان الى تلميذتك لان زوجها وثق بك فحقق آماله ولا تخدعه كما خدعتنا وغداً نسأ لك ما يلزم

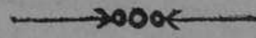
فلما سمع هنري هذا الكلام صعد الدم الى رأسه وقال — لا تقل هكذا ايها الملك فانا لم اخدعك وليس هنا ما يجوز ان يُسمى خديعة . ولو انجلت لك قصة هذه الحسناء بتمامها لعذرتني ولم تنسبني للخداع . فما انا الا عبد الظروف وستطلع جلالتك بلا شك علَى كل شيء فتعلم حينئذٍ اني أصفى المخلصين لك واشدّ امانةً من سائر ذويك حتى ان روجر نفسه لا يقدر ان يعادلني امانةً لك وهو يعرف . . . ولم يتمّ كلامه من شدة تأثره

فقال الملك — ماذا يعرف روجر؟

فقال روجر — لا أعرف عن الاستاذ هنري الا انه اشرف رجل صادقته في حياتي

فدنا الملك من هنري وألقى يده علَى كتفه وقال لهُ ببشاشة : اعلم ايها الاستاذ باني لو تأكدتُ خداعك لنفرتُ من جميع الناس

ولم اعد اثق باحد منهم فسامحني علَى هذه الكلمة القاسية التي قلتها بحقك وانا في حالة الانفعال الشديد. ولكني مع هذا اريد ان اعرف كل شيءٍ. واذا انت تأبى ان تخبرني بالواقع لسببٍ ما فعليك ان تقنع غلوريا وزوجها باطلاعي علَى سرّهما. واذا كان زوجها في خدمة ابني غومفري فقد يكون رآها ايضاً غومفري. والذي يتراءَى لي انه لاجلها انما يتردد هكذا كثيراً الى هذه الجهات. ولا عجب اذا وقع غومفري بهواها لان جمالاً كهذا من شأنه ان يفتن العقول قبل الابصار. وقصارى الكلام اني اريد ان اعرف هذه القصة بتمامها منك او من ولي العهد او من زوجها. واني استمحلك الان ان لا تشيعنا بل ابق مع «اميرتك» كما كنت تدعوها منذ هنيهة. قال هذا وتأبط يد روجر وخرجا كلاهما من المغارة وعادا في طريقهما بين الاشجار وهنري ينظر اليهما. ثم تنفس طويلاً واسرع الى غلوريا



الفصل الثلاثون

هنري وغلوريا

وبعد ان بحث عنها بضع دقائق وجدها جالسة علَى صخرة كبيرة وهي تنظر الى امواج البحر وليس في وجهها ما يدل علَى خوف او اضطراب. فلما صار هنري الى جانبها التفتت اليه وقالت —

هل سافر الملك ؟

قال — الآن عاد الى حاشيته وربما لا يلبث ان يركب يخته ويسافر الى العاصمة

قالت — وهل انت متكدر يا عزيزي هنري مما جرى؟

قال — نعم تكدّرت ولكن ما باليد حيلة فقد جرى ما كنا نحاذره

قالت — وهل تظن ان زوجي يتكدر اذا علم ان الملك رآني ؟

قال — لاشيءَ يكدره منكِ لانه يعبدكِ ولكن هذا الحادث سيقلقه كثيراً ويعرض مركزه للخطر

قالت — وهل بلغ من قساوة الملوك ان يسنُّوا مثل هذه الحدود والقوانين الشديدة على مستخدمي مراكبهم ؟ ان ذلك لمن المدهشات

قال — ليست هذه الحدود والسنن شديدة الأَّ على امثال زوجك فهو في وظيفة ضابط اكبر على اليخت واقرب الناس الى ولي العهد

قالت وقد اتسعت حدقتاها — انه لم يقل لي شيئاً عن ذلك . ومع هذا فهب انه فقد مركزه افلعله لا يجد سواه ؟

قال — اسمعي يا اميرتي العزيزة لرجل لا يودّ لك الا كل خير وصلاح . ان زوجكِ وانا قد اردنا ان نسعى جهدنا في حجبك عن نظر الملك لاسباب كثيرة . فلما علمتُ انه ازمع على المجيء الى الجزائر

في هذا النهار بادرت فركبتُ زورقاً ووصلت الى هنا قبله بنحو ساعة ولم اقل لرونسار شيئاً عن مجيئه بل اخذتكِ وجئتُ بكِ الى المغارة حيث سلمتكِ رسالة من زوجكِ فيها يسأَلك ان تسلكي مسلك التحجُّب والاختفاء عن الملك. فماذا كانت النتيجة؟ فانتِ اخذتِ في الغناء حتى جذبتِ الملك بمغناطيس صوتك الرخيم وقيدّته عند رجليكِ

قالت — انك تخاطبني ايها الاستاذ بالاحاجي والمعميات لاني لم افهم بعد شيئاً من دواعي خوفك وحذرك. فالملك لنفسه ونحن لانفسنا. والاولى به ان يهتم بشوءون مملكته قبل اهتمامه بمثل هذه الامور الشخصية التي لا علاقة له بها البتة والتي ليس له منها اقل نفع وقد صدقت الان كل ما كنت اسمعه عنه

قال — وماذا كنت تسمعين؟

قالت — كنت اسمع انه لا يبالي بشوءون المملكة ولا يهتم باستئصال الشرور والظلامات من بين رعيته وانه ليس بانسان حقيقي مع ان هيئته تدل علَى عكس كل ذلك

قال — وهل اعجبتك هيئته؟

قالت — نعم لاني لم اكن اتصوره بهذه الهيئة والاخلاق. فبينه وبين زوجي الحبيب مشابهة تامة ولكن الذي لم يعجبني منه علَى الاخص هو سرعة غضبه وخروجه عن طوره الانساني في ساعة

الاحتدام

قال — ولكنه مع هذا شجاع كالاسد

قالت — وهل برهن عَلَى شجاعته بشيء ؟

قال — نعم انه برهن على شجاعة نادرة ولو اننا الان في زمن السلم

قالت — ولكنه في ايدي زعماء المملكة يديرونه كيفما شاءوا ولهذا السبب كرهته الرعية ووسمتهُ بالجبن وعدم الادراك ونسبت اليه اصفت اخر بذيئة فمن اين له هذه الشجاعة التي تنعته انت بها الان ؟

قال — اما انه شجاع فهذا مما لا ريب فيه وستحقق الايام صدق كلامي واما انه العوبة في ايدي الزعماء فقد كاد يكون لولا انه نشط الان من عقاله واحب ان يظهر شجاعتهُ واما ان الرعية تكرههُ فسيأتي يوم تنقلب تلك الكراهية حباً شديداً بل عبادة خالصة . والاغرب ان الرعية الان لا تعلم شيئاً عن شجاعة ملكها مع انه في هذه الايام اشجع ملوك الارض باسرهم

قالت — اني اميل الى تصديق كلامك ولكني سمعت من كثيرين ممن يوثق بهم ان الملك لا يكاد يلتفت الى شيء من شوءون الرعية فما معنى ذلك ؟

قال — وممن سمعت كل ذلك ؟

قالت — من سرج طورد و…

فارتعش هنري لدى سماعه هذا الاسم وقال — وهل انت رأيت سرج طورد وسمعت اقواله ؟ واين؟

قالت وهي تتبسم — نعم رايته وسمعته فقد جاء الى الجزائر مراراً كثيرة وخطب في اهلها خطباً رنانة وهو صديق حميم لابي رونسار

قال — وعن اي شيء كان يتكلم ؟

قالت — عن اشياء كثيرة وخصوصاً عن الملك وفظائعه وعدم مبالاته بالعدل وعن شره وانانيته وانه ينظر الى تعس الامة وشقائها ولا يريد ان تكون سعيدة مرتاحة مع ان الواجب يفرض علَى الناس وخاصة الملوك ان يسعوا لاسعاد غيرهم لاان يجعلوا غيرهم تعساء بوءساء. وقد تكلم ايضاً عن امور اخرى كثيرة لايسعني الان تعدادها

ولما سكتت غلوريا اطرق هنري قليلاً في الارض ثم رفع راسه وقال — اذن الناس الاشرار فقط يجعلون غيرهم تعساء. فما قولكِ لو ان زوجكِ ظهر بازائك شريراً ومحباً لنفسه وجعلك بذلك شقية تعسة

فابرقت عينا غلوريا والقت علَى هنري نظراً احدّ من السهم وقالت: هذا غير ممكن لان زوجي آية الشهامة وعنوان الصدق فهو قد

احبني واقسم لي على المحبة الدائمة فلن يحنث بكلامه

قال — لنفرض انه خدعك لمآرب في نفسه

فصاحت غلوريا ووثبت منتصبة على قدميها وقد صعد الدم الى وجهها وقالت — بالله لا تفرض المستحيل فزوجي لن يخدعني

قال — سكني روعك واعلمي ان فتاة مثلك قد تنخدع كثيراً اذا وثقت كثيراً برجل

فجحظت عينا غلوريا وقالت — حسبك من مثل هذا الكلام القاسي لاني لا اقوى على احتماله ولا اريد سماعه لان فيه اهانة لي ووقيعة بزوجي

فدنا منها هنري واخذ يدها فقبلها وهو يقول — اعذريني واصفحي لي ايتها الاميرة فعسى ان يكون كلامي مستحيلاً

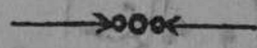
وفي هذه اللحظة توارت الشمس وسُمع دوي مدفع. فقال هنري الظاهر ان الملك قد ركب اليخت مع حاشيته ليعود الى العاصمة. وقد حان لي ايضاً ان اودعك. وقبل براحي اخبرك بان عاصفة شديدة تتهددك وزوجك ولا اعلم الان ما قد خبأته لك الاقدار. ولكن ثقي على كل حال باني لك الصديق المخلص فلن اخون عهدك ما حييت

كانت غلوريا تسمع كلامه وهي في اشد حالات الحيرة والاضطراب

فلما فرغ قالت له — اراك اليوم كثير القلق والحذر على سعادتي مع ان لديَّ كل مايلزمني من هذه الحياة اعني الحب

قال — والله المسؤول ان لا يخيب آمالك . وهيا بنا الان نعود الى رونسار لان لدي ما اقوله لهُ ايضاً واسالك قبل كل شيء ان تكتمي شنه ولو الى حين امر مشاهدة الملك اياك

وفيما كانا سائرين سمعا الموسيقى الملوكية تعزف بالحانها الشجية على ظهر اليخت ولم يلبثا ان ابصرا اليخت قد ترك الميناوسار يشق عباب البحر عائداً من حيث اتى



الفصل الحادي والثلاثون

داود يوست

في احد الشوارع المهمة من العاصمة كان قائماً منزل كبير فخيم يجذب الانظار بحسن هندسته ورائع نقوشه وصاحبه رجل من اكابر اغنياء اليهود يقال لهُ داود يوست . وهو صاحب اكبر جريدة في العاصمة وشريك ثلاثة من اصحاب الجرائد الأُخر التي كانت اذ ذاك تصدر في العاصمة . وكان يصدر فيها ايضاً جرائد كثيرة غير هذه بيدَ ان جريدة داود كانت اكثر نفوذاً من سواها فكان لها المقام الاول ولجرائد شركائه المقام الثاني فكان داود والحالة هذه ملك الصحافة يكتب ما يشاء وليس لاحد ان يناقشه الحساب .

وقد تصدَّى لمناظرته بعض الجرائد الاخرى ولكنها لم تفز عليه لقلة ذات يدها . وكان داود لا يخشى احداً ولكنهُ كان محباً للمال الى درجة قصوى فكان لا يكتب في جرائده الا المواضيع التي تدرّ عليه المال غير مهتم بما سوى ذلك

ولما كان الملك عائداً في يخته من الجزائر كان داود عائداً من ملعب التشخيص الى منزله المذكور ووجههُ طافح بالمسرة لانه حصل على مال جزيل جديد من مقالة واحدة كتبها في ذلك النهار عن قطع المخابرات مع الدولة المجاورة وامكان نشوب الحرب بعد ايام قلائل . وبسبب ذلك تصاعدت في البورصة اثمان بعض الاوراق والاسهم المالية تصاعداً فاحشاً ونالهُ من ذلك النصيب الاوفر . وكان داود عائداً في تلك الليلة وهو يسير متبختراً ظاناً انه قد انتعل الفرقدين فلم يبقَ لهُ وقد ألقى عظمة الخصام بين المملكتين الا ان يجلس في كرسيه ويشاهد حرباً طاحنة هو أذكى شرارها وأضرم نارها . ولما دخل منزله جلس الى مائدة في ردهة الكتابة واخذ يطالع بعض الرسائل والاوراق التي امامه ثم نظر في ساعته فاذا هو في منتصف الليل فتناول مسودَّة عدد الغد من جريدته الخاصة واجال فيها نظره قليلاً وقال « لم نكتب اليوم شيئاً عن صحة مطالب الجزويت فيجب ان ننشر غداً مقالة ضافية في هذا الموضوع لان في الفاتيكان اموالاً طائلة وقد وُعدنا بنصيب منها فلا يجوز لنا والحالة هذه ان نهمل مصلحتنا وعلى المركيز ان

يقنع الملك بالاذعان لمطالب هوءلاء الناس ويبرهن لهُ انها عادلة وان سلطة الكنيسة اقوى من سلطته فلا قِبل لهُ بمناوأتها » . وإن هو لكذلك اذ قُرِع جرس الدار منبئاً بمجيء زائر . فأجفل داود ونظر في ساعته مرة اخرى وهو يتعجب . واذا بالحاجب قد دخل وقال — بالباب رجل يودّ مقابلتك ياسيدي لامرٍ ضروري

فرفع داود نظره وهو منذهل ثم قال — ومَن يكون هذا الزائر في نصف الليل ؟ اذهب وقل لهُ اني لا اقدر ان اقابل احداً في مثل هذا الوقت وان كان مجيئه لامر ضروري فليأتِ غداً !

فخرج الحاجب ولم يلبث ان عاد وقال — لا بد للزائر من مقابلتك الان ياسيدي لانهُ مرسل من قِبل كبير الوزراء

قال — من لوتيرا ؟

قال — نعم يامولاي وليس للمركيز ان يوءجل حديثه بواسطة رسوله الى الصباح . وهذه بطاقة الرسول

فتناولها داود وقرأ ما يأتي « باكن لروا » وتحتها هذه الكتابة « لامرٍ ضروري جداً لايقبل التأجيل ولديَّ علامة مهمة من المركيز لوتيرا »

فقال داود — لم أسمع بهذا الاسم فعليَّ به

الفصل الثاني والثلاثون

﴿ محادثة سرية ﴾

وبعد قليل دخل «باكن لروا» وهو نفس باكن لروا الذى رايناه في الجمعية الاشتراكية غير انه هناك كان كثير التأمل والتفكر اما هنا فكان رشيق الحركة سريع الكلام وهيئته تدل على انه محرّر جريدة او وكيل احدى الشركات التجارية وقد حمل الزجاجات (العوينات) على عينيه كانه مصاب بالحسر . ولما دخل الردهة القى عليه داود نظراً طويلاً وهو يتامله من راسه الى قدميه كمن يريد ان يستشف دواخله ثم قال — أأنت رسول المركيز؟

قال — نعم

قال — وما هي العلامة التي لديك منه

فدنا باكن منه ومدّ يده اليمنى واشار الى خاتم في احدى اصابعه وقال — اظنك تعرف صاحب هذا الخاتم

فنظر داود الى الخاتم واذا هو من اللازورد الثمين وقد عرفه للحال انه خاتم كبير الوزرا فتبسم وقال — اهلاً وسهلاً برسول المركيز فهل لديك اخبار سياسية تريد ان تفضي بها اليَّ لانشرها في الجريدة ؟

قال — كلاَّ وانما جئت لانذرك بان السياسة الحاضرة قد تتغير تغيراً مهماً

فذعر داود وقال — هذا مستحيل · ثم قام ففتح باباً في جدار الردهة وقال لضيفه — هيا بنا ندخل هذه الغرفة السرية حيث يمكننا ان نبحث في هذا الموضوع السري المهمّ ولانخشى ان يسمعنا احد · ودخلا كلاهما غرفة صغيرة واقفل داود الباب بالمفتاح ثم تناول لفافة وناول مثلها لضيفه وجلسا هناك يتحادثان · و بعد ان مضى على حديثهما ساعة من الزمن قال داود — وهل بلغ انضعف من المركيز ومن كاتم اسرار الدولة ان يتحولا عن هذا العزم وهما يعلمان الفوائد الكثيرة الناجمة عنه ؟

قال — انهما مضطران الى ذلك لان الملك قد ادرك مقاصدهما فترك عوائده السابقة وقام يناهضهما في كل امر يرى فيه المنفعة العامة للشعب دون ان يعبأ بشيء من اعتراضاتهما

فذهل داود وقال — واي دخل له في شؤون المملكة وهو ملك دستوري لا يُطلب منه الا ان يخضع لقرارات الوزرآء و يبقى في قصره متمتعاً بمغازلة الحظايا الحسان

ولو نظر متأمل في وجه باكن لروا في تلك اللحظة لرأى عليه ملامح غريبة لم تلبث ان زالت حالاً وقال — غير انه أَبى كما يظهر ان يبقى متمتعاً بتلك اللذة بل عزم عَلَى العمل بتمام الحزم

قال — اذا كان الامر كما ذكرتَ فيجب خلع الملك بدعوى انه يقاوم الشرائع الدستورية التي سار عليها ابوه وجده من قبله

قال — ولكنه يعلم ايضاً ان غيره من ملوك الثروة مثلاً لا يحفلون بهذه الشرائع الدستورية ولذلك قام يناقشهم الحساب ويقيد ايديهم

فازداد داود انذهالاً وقال — اما انا فلا يهمني الا القيام بواجباتي الصحافية فاز اوزراء او لم يفوزوا · ولكنني ارى ان الملك سيُخلع لا محالة اذا بقي مصراً عَلَى مقاومة مجلس الوزراء

قال — غير ان الامة ستميل اليه اذا رأته ذائداً عن حياضها عاملاً عَلَى ترقية شؤونها وحينئذٍ فلا اعتراضات الوزراء ولا مقالات الصحف يمكنها ان تفيد شيئاً

وبعد ان تحادثا ملياً واطلع باكن لروا عَلَى كل ما يريده من اسرار كبير الوزراء وكاتم اسرار الدولة نهض مودعاً · فقام داود ليشيعهُ وعَلَى وجهه صفرة الموت · فقال باكن — هل لك ان تكلفني بشيءٍ الى موسكو ؟

قال — وهل انت مسافر الى موسكو ؟

قال — نعم عند انبثاق النهار

قال — ولعل ذهابك الى هناك لخدمة سرية

قال — بلا شك ولعلني ابلغ الغاية المطلوبة · ثم ودعه وانصرف ولما صار في الباب الخارجي وضع في يد الحاجب قطعة ذهبية وسار في طريقه وبقي داود جالساً في الغرفة يعيد في ذهنه حديث هذا

الرسول واخيراً قال في نفسه « قد صار الآن يصعب عليَّ جداً ادراك الغاية التي كنتُ أسعى وراءها · ولكن مهما تقلبت الاحوال فالصاعقة ستنقضُّ علَى رأس كاتم اسرار الدولة وحده وانا أَبقى عَلَى الحياد وليس لهُ ان يأخذني بحبائله · فاذا كنتُ عضدته قبلاً بصحفي فسأقاومهُ غداً بنفس هذا السلاح ولا يهمني الا المنفعة الخاصة ... » وظل داود يُقلب اوراقه ويناجي نفسه بأمور شتى حتى الصباح

اما باكن لروا فلما خرج من منزل داود تنفس الصعداء وسار في شوارع تلك المدينة وفي دماغه خواطر شتى · ولما بلغ سور القلعة اراد ان يستوقفه احد الخفرآء فاعطى علامة وسار حتى اذا بلغ القصر الملوكي رأى شبحاً واقفاً عند الباب الصغير كانه بانتظاره واذ رآه الشبح اسرع ففتح الباب وادخله ودخل هو وراءه وهما يتحادثان بصوت منخفض

الفصل الثالث والثلاثون

✻ المركيز لوتيرا ✻

في صباح اليوم التالي كان المركيز لوتيرا جالساً في غرفة شغله وقد نُضدت امامه الاوراق والرسائل ولكنه لم ينظر اليها ولم يقرأ شيئاً منها لان افكاره كانت سابحة في عالم التصورات وامائر القلق والحيرة ظاهرة في وجهه لان محادثته بالامس مع الملك تكاد تهدم كل

آماله وتدك سائر امانيه· ولم يكن يتوقع ان الملك ينهض فجأة لمقاومته ومحاربة نفوذه وربما ادى به ذلك الى الاستعفاء لئلا يتوصل الملك بواسطة الامة الى خلعه· وكان له صديق حميم يعوّل عليه في معضلات الامور لانه ذو مهارة ودهاء· ولم يكن هذا الصديق الا كارلوس بيروس كاتم اسرار الدولة· فكان الاثنان يداً واحدة ورأياً واحداً يعملان لمصالح واحدة وهي ابتزاز اموال الامة واحتكارها في صناديقهما باية طريقة كانت· وقد رأيا موءخراً ان محاربة الدولة المجاورة مما لا بد منه لانها تضاعف ثروتهما وتزيدهما نفوذاً في البلاد فسعيا اليها سعياً حثيثاً وكادا يفلحان لولا ان الملك تصدى لعرقلة تدابيرهما واعلن عدم رضاه عن اثارة الحرب وقام يسعى في ارجاع مياه السلم الى مجاريها ولعله ينجح فيكون عمله ضربة علَى آمالهما· وقد اراد المركيز بالامس ان يغري الملك بالنصيب الاوفر من الثروة اذا هو رضي بالحرب ولكنه خاف ان يذكر له ذلك لما ظهر له من تصميمه وقوة لهجته فعاد الى منزله يتعثر باذياله· وقد عزم على ان يجتمع بكاتم الاسرار فيفضي اليه بمخاوفه ويتداولان في تدبير طريقة اخرى تظفرهما بما ابتغيا· وكان الاثنان يعتمدان في امورهما علَى داود يوسف ويدفعان له الاموال الجزيلة في مقابلة قيامه بخدمتهما فكان داود يذيع محامدهما وينشر في جرائده حسن مقاصدهما ناسباً اليهما كل اثر جليل في المملكة وهو يرجو من ذلك خدمة نفسه

فقط بما كان يتناوله منهما من الاموال بدون عدّ او حساب

وفيما كان المركيز جالساً يتأمل في كل ذلك اذا باحد خدمه قد جاء و بيده كتاب مختوم فدفعه اليه وقال — هذا من المستر داود يوست وخادمه ينتظر الجواب في الحال. فتناول المركيز الكتاب وفضه وما كاد يقرأُ فيه بعض اسطر حتى جحظت عيناه وقفّ شعر رأسه فمسح عينيه بيديه كأَنه في شك مما قرأ ثم اعاد قراءة الكتاب مرة اخرى واذا فيه ما يأتي: «عزيزي المركيز. قد قابلتُ في هذه الليلة رسولك واطلعته عَلَى كل ما اراد من التفاصيل وهو الان مسافر الى موسكو لقضاء المهمة التي عُهدت اليه ولا اكتمك اني في غاية الكدر من انقلاب الحوادث علينا بعد ان كانت في يدنا نقلبها كيفما شئنا فأُريد الان ان اقابلك عَلَى انفراد ساعةً من الزمن لنتفاوض فيما ينبغي لنا اتخاذه من التدابير ودمت لصديقك داود يوست». ولما فرغ المركيز من تلاوة الكتاب شعر كأَن الارض تدور تحت قدميه وعلم ان في المسئلة يداً تعمل عَلَى كيده. فمَن هو هذا الرسول الذي قابل داود باسمه واطلع منهُ على اسراره وما هي غايته من سفره الى موسكو؟ ولما هدأ روعهُ قليلاً اخذ ورقةً وكتب فيها ما يأتي:

«عزيزي داود. ان كتابك قد ادهشني للغاية لاني لم ارسل اليك احداً بالامس. وعليه فانا انتظر حضورك في هذا الصباح بما لا مزيد عليه من القلق ودمت لصديقك لوتيرا»